Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 7:3 (1972)

ثورات المسلمين العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

(٢)

— بقلم الأستاذ دنس ووقر

من التايمز — ”وصلت الانتفاضة الى ذورتها فى الارناض التى ليست مدينه بل تعلقة أى المديرية ان كل انتفاضه مابليه تقريبا قد نشبت فى منطقه الارناض التى تشمل بعض غابات أشجار الساج الكثيفه . و منذ سبعين سنه تقريبا كانت حاسيه انكليزيه ترابط فى ملابورام بقلب الارناض لان التجربه الماضيه اكدت ان جنودا هنودا لم يثبتوا دائما فى وجه المتهورين المابليين ، حينما أسروا بخوض القتال . يبدو ان المسابغين سلبوا الخزانه الحكوميه بمنجيرا ، المقر الرسمى لمنطقه الارناض فذهبوا بحوالى ... , ٤٠ جنيها استرلينيا منه . انهم قد دمروا جسور السكه الحديديه و السحارات المائيه و أحرقوا مكاتب الدوله ، و من المظاهر البارزة لفظائعهم أنهم قد انتهكوا حرمه الهياكل الهنديه و سلبوا مساكن مترفى القوم الهندى و رفاع منزلتهم .

و — حسب بعض الاخبار الواردة من الهند — قتلوا عددا من الهنادسه رجالا منهم و انا ثانى . ان ضباطا و جنودا انكليزا قتلوا بوحشيه منكرة ، و كذلك عدد بسيط من الغارسين الانكليز اصحاب مزارع . ان ست او سبع قضايا قتل من هذا النوع افادتها الاخبار . و بدا راجعا الى حين ان المابليين سيهجمون على الميناء البحرى المهم ” كاليكوت ،، و لكن الوصول العرضى لقوة بريطانيه صغيرة هى تتراجع من الميدان انقذ المدينه و الان

تحرس الميناء السفينه البحريه ايچ ام اس كوماس " HMS Comus "

ان عنف الهجوم العربى و اتساع نطاقه جعلا الدنيا تسود فى عيون الانكليز . قال لورد ويلينغدون Lord Willingdon امام مجلس شورى قوانين مدراس بتاريخ أول سبتمبر - " خربت او سدت كل انواع المواصلات الممتدة فوق اراض واسعه شاسعه فى فترة من الوقت مذهله من ناحيه قصرها . انهم هجموا على مكاتب الدوله و المحاكم ، فدمروا كل السجلات العامه . و سلبوا مراكز الشرطه كل اسلحتها و ذخيرتها حتى ان الحكومه المدنيه توقفت عن السير تماما . ان فجأة نشوب النيران و اتساع نطاقها يدلان بما لا يقبل الجدال من الاثبات على وجود منظمه مخطرة واسعه قوادها كانوا يتربصون فرصه لمحاوله الاطاحه بالحكومه القائمه بواسطه العنف المسلح " (٧)

تعطى ملحمه محاصرة المسجد بممپر فكرة عامه لبساله المابليين فى خوض معارك مستميته . " كان ثمه كثير من المقاتل قبل ما استسلم الثوار . . . فحاول الثوار ان يطعنوا بسكاكينهم حتى بعد ما اخترقتهم الحراب " . و فى المعركه الحاسيه الوطيس التى ذهبت بأرواح اكثر المسلمين المرابطين بالمسجد الذين حوصربهم من بعد مائه ياردات " أصابت كثارا من الموتى [العرب] طلقات رصاصيه كثيرة قبلما صرعتهم، فكان احتقارهم للموت خارقا حقا " (٨)

و كتبت التايمز بتاريخ ١٩٢١/٩/١٩ تحت عنوان " روح المابليين الكفاحيه لم تكسر بعد " ما نصه :

سملا ١٦ سبتمبر : أعلن فى مجلس الدوله (كونسل اوف ستيت) ان الاوضاع فى مالابار لاتزال مخطرة . ان الاراضى الداخليه لارناض و ولاناواد لا يزال الثوار يسيطرون عليها و عددهم يقدر بثلاثه آلاف . و يعرقل حركات الجنود سرعه تنقل

الثوار من مكان الى مكان و صعوبات النقل و المواصلات. ان معنويات الثورة لم تهتز بعد فلا تزال مراكز الشرطه" و المحاكم مغلقه" و لم تسنح الفرصه" بعد لتقييم مدى الضرر و التخريب الذين الحقوهما بأملاك الحكومه" و المدنيين. ان الجسور فالطرق التى رممها الجنود دمرها الثوار للفور مرة اخرى.

كاليكوت ١٩٢١/٩/١٨. وردت الاخبار من نيلا عمبور التى تبعد ٣٦ ميلا من كاليكوت شرقا، ان وريانكوناث كنمحمد الحاج يدعى سلطته المستقله" فى ارناض الشرقيه" فيصف ارناض و والاواناد Walawanad كمملكتين خلافيتين مزعومتين. انه افتخر بانه فتح ارناض و والاواناد التين لن تدفع الضرائب الزراعيه" العقاريه" فوق أراضيهما مرة أخرى، ان هذا المقتطف الاخير يبرز مرة ثانيه" اوليه" الاستياء العقارى الذى بصدور الفلاحين المسلمين القائمين بالثورة، فلم تكن الوحدة الاسلاميه" العالميه" من طراز الحركه" الخلافيه" او (دوله" اسلاميه") الا البناء الفوقى النظرى الذى قام على هذا الاساس.

ان التايمز يقدم تصويرا للهجمه" المضادة الاستعماريه" التى مثلها الزحف على ملابوروم انقاذا للمدينه". " ان كثارا من المابليين الواقفين فى وجه طابور النجدة التى ارسلت من كاليكوت انقاذا لمدينه" ملاپوروم كانوا جنودا متقاعدين من الجيش الهندى البريطانى سابقا، اشتركوا بالجيش البريطانى فى معارك مابين الرافدين. ان هؤلاء حصنوا انفسهم فى بيوت پوقاطور Pukkatur وردوا بشدة على طلقات الجنود الحاملين عليهم بنيرام مماثله"، فلم يجد الجنود الهاجمون بدا من ان يكتسحوا عددا من المتراسات بهجوم مقابل وجها لوجه ".

و قال البيان العسكرى الرسمى الذى اصدره السلطات البريطانيه": ان الثوار

هجموا على طابور النجدة التى أرسل بها الى مالاپوروم من الامام و الخلف و كلا الجانبين ، و لم يتبعثروا الا بعد اربع ساعات من القتال بالسلاح الابيض،، ثم قال البيان ماله مغزاه العميق بعد شهر كامل من مقاومه" الوحوش المزعومين العرب المابليين : ،، ان السكة" الحديديه" الى كاليكوت قد أعيد استعمالها مؤقتا و لكن كل البر المالابارى ما سوى،، تعلق ،، پالغات (اى منطقه" پالغات) لم نسيطر عليه بعد ،، (٩)

كلما حمى وطيس الحرب و تصاعدت اعمال الجانبين عنفا و وحشيه" كسبت المقاومه" العربيه" طابع حرب شعبية" اكثر فأكثر و لكن الشعب الذى كانت الحرب له لم يكن بالتأكيد الشعب الهندوسى الذى وقف فى جانب البريطان من اللحظه" الاولى للثورة . ان هذا الاصطلاح ،، الشعب الهندوسى ،، طبعا سيثير الجدل ، و لكن مسألة" الاصطلاحات اساسيه" فى فهم الحوادث . ان المعلقين و المؤلفين الهنود و الانكليز يرون انتفاضه" المابليين كـ ،، تعصب ،، محض ولا شئ آخر. ان هذا لانهم يابون النظر فى الحركه" من موقف تحليل قومى و اجتماعى . ولكن ، كما رأينا من هذا البحث ، لم تكن فى المجتمع المالابارى أى وحدة قوميه" مطلقا بل كان أساس العقائدية السائدة فى ذلك المجتمع — أعنى الهندوسيه" البرهمانيه" و نظام طبقاته الوراثيه" — انكر امكانيه" نشوء وحدة شاملة" من الاخاء القومى. كان بين الطبقات المختلفه" فى مالابار — التى هى بالحقيقه" كيانات عنصريه" فبالتحت ثمه" الدراڤيديون ، سكان الارض الاولون و بالقمه" الاريين البرهامنه" الغزاة —كان بينها وهدة لاجسر عبرها . ولكن، أليس ممكنا ان هذه التوترات الطبقيه" تنحصر داخل اطار مادى مصلحى طبقى ؟ يكاد يمكن ، لولا مجئ العرب الذين فجروا هذه الدنيا الجامدة ، الراكدة ، و قدموا على

تراب مالابار كيانا قوميا و اقتصاديا يخالف النظام القائم كل المخالفه، فجذبوا الجماهير اليهم وهم الاسلام و العروبه بالسيطرة على الاوضاع . و لكن مجئ البرتغاليين عرقل سير هذه العمليه الطبيعيه التقدسيه فى المجتمع المالاباری و ثم جاء الانكليز و اخذ نظام الهندوسيه الطبقى نفسا آخر بعد احتضار . و بدأت مصائب تصيب العروبه من جراء انهيار أسسها الاقتصاديه التجاريه مما ألحق اضراراً بالغا بالثقافه العربيه و معالم الشخصيه العربيه . فابتدأت اللغه العربيه تتراجع الى الوراء بعد زوال التاييد الشبه الرسمى الذى تلقته فى العهد السابق لمجئ البرتغاليين . و لكن التحدى للظلم الاجتماعى الذى كمن فى عقائديه الاسلام انقذ العروبه . فلم يزل الدين الاسلامى ينتشر بين الفلاحين المالاباريين فتنقلت العروبه من قاعدة تجاريه طبقيه مدينيه ذات ملحق فلاحى الى قاعدة فلاحيه ريفيه ذات ملحق تجارى بسيط . فى ابان هذا الانتقال زالت العربيه تكون اللغه الام لمعظم المسلمين فى الاقليم ولكن العقائديه العروبيه بقيت و ارتبطت بكفاح الفلاحين المسلمين الفقراء ضد دوله و نظام اجتماعى هما يضطهدانهم من ناحيتين — طبقيه و قوميه . ان الثورة المابليه ثورة قوم مضطهد و طبقه مضطهدة و ان هاتين الحقيقتين، أى هذا الاضطهاد المزدوج، يعللان عنف الانتفاضه و اساله دمائها .

طبعا لن يرضوا عقائديو القوميه الهنديه البورجوازيه بهذا التحليل، و لا الانكليز . لانه، لو أثبتناه، سوف يعنى ان وحدة ارض الهند وهم من الاوهام، ان لها اقوام و شعوب و أمم متعددة، و ليست ذات مقومات هويه موحدة . ولكن تطور الحوادث تؤيد تحليلنا . ان غاندى من الاول لم يفهم ما يجرى فى مالابار فأيد الى حين ثورة العرب هناك و تغاضى عن اساله دماء الهنادسه فى

الاقليم . الا ان الانكليز و الرجعيه" الهندوسيه" المحليه" الذين سدد الثوار ضدهم ضربات قاصمه" بعثرتهم كالعهن المنفوش لم يريدوا ايضا فهم ما جرى . ان كل الاطراف الثلاثة رفضت اعتبار الثورة المابلية ما كانت — ثورة امه" عربية متغربة فوق تراب الهند ، امه" لا عهد لها بالاقوام الاخرى التى شاركتها تراب الهند اللهم الا الشعب الاسلامى الشريف فى السندوالبانجاب و البنغال الذى يشاركها حضارتها الاسلاميه" . فقال السيد مونتاغيو ، وزير الهند ، امام البرلمان البريطانى : ,, قد اقترف الثوار فظائع ما اكثرها اثارة للغثيان ضد مواطنيهم الهنادسه" الذين كانوا رعايا موالين لنا ،، "Their Loyal Hindu Fellow Subjects." (١٠) ولكن السؤال هو — فى اى معنى كان العرب المالاباريون ,, مواطنين ،، للهنود الا من الناحيه" الرسميه" الاسميه" ؟ فان مستبدا اجنبيا مشتركا لا يخلق قوميه" مشتركه" . ان القوميين الهنود يقولون للمابليين انهم ,, عصبه" من مسلمين متعصبين فقراء جاهلين عددهم حوالى مليون نسمه" ، ينحدرون من العرب المستوطنين على ساحل مالابار . . . ،، (١١) فهل اعمال عنفهم تدل على ,, تعصب ،، غير معقول لا دافع عقلانى له أم على مصالح تخالف مصالح الذين يجاورونهم لانها قائمه" على أساس قومى و طبقى لا غير ، لا توفيق بينهما ولا شفاء للظلم الناتج عن اقامه" الانكليز أحد القومين على الاخر الا انفجار عربى عنيف ؟ ! هل ,,الجهل،، بالجماهير العربيه" فى جنوب الهند أم بالذين يحكمون على هذه الجماهير من العلياء ؟

أيد الهندوسيون الانكليز على العرب الثوار . ان مجامدار ينكر هذا ، و يدعى انه "كلام كاذب من قبل متطرفى حركه" الخلافه" يذهبون بها فظائع المابليين التى ,, لاسبب لها . ،، ولكن اخبار التايمز تفيد عكس ذلك ، فاذاقرأناها و قرأنا ما بين

سطورها تبينا ان مجموعات معينة" بين الهنود عارضوا الثوار و فعلوا كل ما استطاعوا لعرقلة" سيرهم لنفس اسباب تاييد آباءهم للانكليز حين غزوا شبه قارة الهند باكستان — انهم اعتبروا العرب و المسلمين شعبا ليسوا منهم لا مصلحة" مشتركة" لهم ، ففضلوا حكم المسيحى الازرق العينين الذى يحمى مصالح الرجعيين الهنود على المسلم الاسمر كمثلهم الذى يطالب بالمساواة و العدل و استقلال البلاد . و ان اقوال التايمز تثبت بما لا جدل فيه ان الهنادسة" ، كانوا حقا استحقوا اثراء وزير بريطانيا للهند أمام البرلمان الانكليزى — كانوا فعلا ’’ رعايا موالين ‘‘ . فلم تكن اعمال العنف و الثأر بدون سبب و لم تكن الثورة انفجارا فوضويا بل عمل منظم لها اهدافها المرسومة" العادلة" . فان قائدا كمثل سيثيكويا تهنكل Seethikoya Thangol. مثلا الذى انضم فى الثورة يعلن جمهورية" اسلامية" بمنطقة" كور مرام فى شهر سبتمبر قد اصدر قبل استسلامه فى ديسمبر اكثر من فتوى ، بسمه كوالى مملكته الخلافية" ، تحرم على اتباعه أعمال السلب و فظائع أخرى ، مشيرا بكلماته الى أن البلاد الان لهم . (١٢) و لكنه من شهر اكتوبر فصاعدا — كلما تحسن وضع الانكليز و ازداد الضغط على الثوار فوجد الهنادسة" شجاعة" اكثر ، أخذ الثوار ثأرا رهيبا من الذين تعاونوا مع العدو . ان منطق الاختلافات الطبقية" و اللغوية" و الثقافية" ، و الدينية" كانت تفصل بين الجاليتين الهندوسية" و الاسلامية" حسب خطوط هى عنصرية" و قومية" . كان الشعبان فى مالابار يتخذان موقفين مختلفين كل الاختلاف من مسألة" الثورة المسلحة" فى سبيل الاستقلال لأن كل واحد منهما رأى استقلال الاخر أو ازدهار الاخر عبودية" بالنسبة" اليه . و لكن رد الفعل العربى لم يكن بدون تمييز رغم انه عنيف . كانت أسباب ملموسة" موجودة . ’’ ان الثوار سلبوا مكان دكان لان

صاحبه أعطى سجايير الجنود ، فهو الان خفى و عين له يوسان عليه ان يظهر مرة أخرى و الا فهددوا بقطع الايدى ،، (١٣) ،، ان چيمبرا سيرى تهنگل الذى انضم فى صفوفه كون حماد الحاج قد اعلن الحكم العسكرى حسبما تفيد الاخبار، و هدد بقتل كل هندوسى لا يعتنق الاسلام . ان الثوار يشتكون من مساعدة الهنادسه" للحكومه" . ،، ان حفر القبور الجماعيه" التى تزعمها المصادر الانكليزيه" ، ان صح كان همجيه" او بربريه" ، و لكنه يجب علينا ان نفهم نوع البربريه" فتقول التايمز — ،، مثلا سلخ القائد العربى چيمبرا سيرى جلد رجل اتهم بان قدم اللبن الى الجنود الانكليز ،، (١٤) و لكن التايمز تذكر كذلك ان مسلمين تعاونوا مع الانكليز لقوا نفس العقاب الشديد ، فنرى كون حماد مثلا يحاكم المتعاونين الاعوان فيحكم بقطف رؤوسهم عليهم من بينهم ٣٤ هندوسيا و مابليان اثنان كما يقول التايمز ، فى يوم ٢٥ سبتمبر (١٥)و هذا يدل على حكم صارم على كل من عاون المستعمر ، بدون مراعاة طائفيه" .

و بعد الفترة الاولى من الهجوم العربى ما سرعان ما تحولت الحرب الى حرب عصابات طويل الامد جر بكثير من الا لام على السكان المدنيين من جراء سياسه" ،، احراق الارض البريطانيه" ،، فكانت هذه حرب شعب باسره ، لاحرب عصابات متفرقه" ، فبعد بعض الهزات أصبحت قوى الشعب ،، يلتجئون الى الاتلال من حيث يخرجون ليله" نازلين على القرى يقدمن النساء المابليات ما لذ و طاب من الا كل لهم هناك و يضربن الطبول كلما اقترب جنود الحكومه" البريطانيه" ،، (١٦) فلاشك ان هذا النوع من الخبر حفز البريطانيين ان ينتقموا من اولاءك المابليين الذين يمدون اليهم الايادى من اهل القرى الاعزل . فان الهجوم المضاد البريطانى لم يحقق النتائج الحاسمه" المتوقعه" ، فكما قال

أمين الشؤون الداخليه" Home Secretary في مجلس الدوله" بسملا Simla ، ١٩٢١/٩/٣٠ "مجموع عصابات المابليين المسلحه" عشرة الف رجل ، و لاتزال مقاومتهم تقوى و ان تكتيكاتهم العصابيه" من الارجح انها ستطيل فترة العمليات العسكريه" . فمستحيل اذا ان تتنبأ بسحب الحكم العسكرى فرأى مراسل التايمز بسملا فى رسالته المؤرخه" ١٩٢١/١/٢١ "ان المماطله" و اعلان الحكم العسكرى أعطت الوقت اللازم للثوار ان يغيروا تخاطيطهم فالان هى تخطيطات حرب العصابات ، فالان يتخفون باعداد كبيرة فى الغابات الاستوائيه" الكثيفه" "، فلم ير مراسل التايمز أملا ان يقضوا على الثوار قبل عيد الميلاد ، من جراء كرمهم البريطانى المعتاد الذى دائما لا يلاقى معاسله" وحوش مابليين ... و فى الاحيان التى تقدم العرب فيها للمعركه" كانت النتيجه" اقرب الى مجزرة منها الى قتال بالمعنى الحقيقى للكلمه" . فخذ مثلا البيان العسكرى بتاريخ ١٩٢١/١١/١٠ صادر فى دهلى الجديدة ، "ان الفين اثنين مابليا هاجموا بشدة حصن پانديقاد الذى رابط فيه فصيله" من البنادق ٢ — ٨ الغوركهاويه" ، فخسر العدو ٢٣٠ قتيلا . كان خسائرنا القبطان ايفرل و ثلاثه" رجال من مراتب أخرى قتلى و ٣٤ جريحا . ان آسر البريد المدنى بپانديقاد ذبح . اننا قبضنا على بندقيه" و ١٣٩ سكينا "، ان الجمله" الاخيرة هى التى تثير العواطف فبدون اسلحه" تقريبا ، اللهم الا بعض السكاكين المصنوعه" فى القرى المابليه" الفقيرة ، جاهد هذا الشعب الباسل أقوى الدول الاستعماريه" بأسا آنذاك التى يعيش حياة حرة . اما الانكليز فكانوا متأسفين كل التأسف الانيق من ضرورة ابادة المابليين ابادة جماعيه" — كمثل التايمز فى افتتاحيتها المهذبه" الاولى حول الانتفاضه" اذ قالت "ان المابليين

هم متعصبون حقيقيون يخرجون مصممين على الاستشهاد . و فى الماضى صفتهم كانت الايستسلموا ابدا . منذ خمس و عشرين سنه" كان لابد من صرع مائة" منهم باطلاق الرصاص عليهم على مضض منا — فى هيكل بمنجيرى لانهم اختاروا الموت على الاستسلام ،، (١٧) ان المابليين_ مرة أخرى — فضلوا الاستشهاد على حياة مهين تحت نير مواطنى اصحاب التايمز الذين يبيدون بنى البشر على مضض . . .

رغم الضغط المبرح الذى عليهم من ملاحقه" الجحافل البريطانيه" ، طور المابليون مستوى استراتيجيتهم فى حرب العصابات و حرب المقاومه" الوطنيه" . كانت الحرب الى حد بعيد اقتصاديه" ، فكان من المحتم ان تكسب هذه الابعاد بعد نشوبها . فكان اصحاب المزارع الانكليز الذين كانوا يغرسون التوابل و محصولات تجاريه" أخرى يعرفون ان الثورة الشعبيه" هددت بالقصاد على سيادتهم الاستغلاليه" ، و لهذا نظموا دوريات من المرتزقين المحليين و الميليشيا الاستعمارى ، مواجهه" للوضع المخطر . ان المابليين قد عانوا ما عانوا منهم فلم يرحموهم وقتلوا هؤلاء المستغلين الاجانب كلما استطاعوا الى القتل سبيلا . و فى الايام الاولى للثورة كان الطريق الى غودا لور و ويناّد ، و هو الشريان الرئيسى بالنسبه" الى الغارسين الانكليز ، مسدودا تماما ، فالاراضى المجاورة تكتظ بالثوار . و استطاع هؤلاء الثوار العرب تطوير طرائق محاربتهم العدوحتى بعد ابتداء دور المهاجمه" المضادة الانكليزيه" ، رغم دوريات اصحاب المزارع . انهم عرفوا كيف يسددون ضربات الى الاسس الاقتصاديه" الاستغلاليه" التى للانكليز و مواقفهم فنجد ذى تايمز تقول بشئ من الحزن (١٦/١٢/١٩٢١) و الثورة " تقترب من الانهيار،، " ان وحدة محليه" . . . . قد اعلنت فتح الطريق اخيرا [أى

الشريان الحيوى لاصحاب المزارع الانكليز] و لكن أخبار اليوم الواردة تفيد حدوث فظيعه" مابليه"، عملها كما يبدو عصابه" غازيه" بقرب غودالور - قتل مفتش شرطى و كنستبلان اثنان و جرح اربعه" شرطيين". و كلما شدت السلطات ربقه" جحافلهم حول الثوار كانوا اما ينسلون من بينها و اما يردون على التخطيطات الانكليزيه" بضربه" غير متوقعه" فى نقطه" ضعف ما - كهجومهم على قريه" پاندالور التى هى خارج حدود مالابار مثلا، و التى لم يتوقع الانكليز اى هجوم عليها.

ولكن انهيار القاعدة الشعبيه" تحت ضربات الانكليز انهكت مصدر طاقات الثوار. فحسب رساله" من كاليكوت (مؤرخ بـ ١٤/١٢/١٩٢١) أن " قدمت تسع انسام (اقسام مقاطعات)، بضواحى تيرورانا غادى ذات مجموع سكانى من ٢,٠٠٤ نسمه" عريضه" الى الحكومه" ان يسمح لهم الاستسلام. ان اناسا آخرين من السكان يقتفون هذه الخطوة". شيئا فشيئا اصبحت الجماهير يرون المعركه" كأنها عديمه" أمل، فانهارت المعنويات الشعبيه" و بالتالى معنويات رجال المقاومه". فانتصرت بريطانيا مع رشاشاتها و طياراتها و مدسراتها على هذا الشعب الابى الذى جاهدهم بما عنده.

كان النصر الانكليزى بدون هوادة، كان قواد الثورة يتوفون فى سجون الانكليز فى ظروف مشبوهة مريبة، و انكشفت خفايا كمثل خنق سبعين أسيرا عربيا فى داخل قطار مخنق مختوم ضد دخول الهواء فى طور نقلهم الى المعتقلات فى حر الشمس. ان الانكليز لم يعطفوا على الاسرى العرب كما عطفوا على جنودهم الذين رأتهم الصحف الانكليزية مضرب المثل من البطولة لانهم يزحفون على العدو فى حر الشمس

التى قتلت السبعين عربيا . . . و رفضت السلطات الانكليزيه" طلب الدوائر القوميه" بين المسلمين ان يجلس ممثلون للراى العام الشعبى فى اجان " التحقيق "، أو " التقرير "، التى اجرتها السلطات فى شأن هذه الفظائع .

لاشك ان الثورة المابليه" من اعظم النضالات التحرريه" بطوله" فى تأريخ الهند — باكستان فى عهد الاستعمار . ان المابليين برهنوا بضحاياهم ان الثورة المسلحه" للجماهير شئ ممكن و فعال ينطبق على كل الشبه قارة و على كل شعب اسلامى و عربى فى كل مكان اذا تحدى الوجود الاجنبى و بهذا سود المابليون وجه القوميه" الهنديه" البورجوازيه" و وجه القوميه" الاسلاميه" البورجوازيه" او الاقطاعيه" الصغيرة التى مثلتها حركه" الخلافه" كذلك . ان ثورة العرب فى مالابار أسهمت فى كفاح كل الشعوب الاسلاميه" عموما . فكانت جزءا من كفاح الشعوب الاسلاميه" الدولى ، كما رأت افتتاحيه" التايمز" تعقيدات الشرق الاوسط "، التى ربطت " حركه" الخلافه" التحريضيه" "، و " حتى الوحوش المابليين "، " باخطار الحركه" فى آسيا الوسطى لمصالحنا المتعددة فى الشرق "، فهذه المصالح ، بعد فشل العميل الامين فيصل فى غرض نفسه على اوضاع العراق " بينه" بما يكفى عند ناس هذه البلاد "، من هذه الناحيه" ، قدمت انتفاضه" المابليين نقداً ثوريا للقوميين الهنديه" و الاسلاميه" الناشئتين فى الهند آنذاك مما أثر فى المدى البعيد فى تطور حركات الارهاب مثلا فى بنغال ، و فى مواقف المسلمين فى جنوب الهند وحيدرآباد بالخصوص . ان الثورة العربيه" المابليه" اول خروج شعبى هندى من اطار التطور السياسى اللاعنفى الذى اقامه الاستعمار . انها قفزة من المعارضه" باللسان ، و هو اضعف ايمان . الى طور المعارضه" باليد .

ثانيا ، كشفت كذب نظريه" "قوميه" هنديه" واحدة غير طائفيه"" التى قد تشدق بها غاندهى فى بعض الاوقات مع ان أسلوبه الجدلى عند الجماهير لم يترك مجالا للشك ان قوميته بالحقيقه" هندوسيه" بحت ، تستجيب مع عواطف البور جوازيه" التقليديه" الهندوسيه" الصغيرة — ان غاندى قد كسب تعاون المسلمين بواسطه" اتخاذه لموقف صارم ضد الغزوة الاستعماريه" فى الشرق الاوسط ، الذى اهتم المسلمون الهنود به معتبرين اياه بوطنهم الأم . فدعا غاندى الحكومه" البريطانيه" الى الامتناع من عزل الخليفه" العثمانى ، وهى خطوة ستهدم الوحدة الاسميه" للشعوب الاسلاميه" . فقد قرأنا خطاب اجمل خان ، رئيس الخلافيين ، دعا فيه الى اتحاد اسلامى دولى يضم الاراضى الاسلاميه" فى الهند . فغنى عن القول ان لا توفيق بين هذا الهدف و اهداف القوميه" الهنديه" التى عند "حزب المؤتمر القومى" — حزب غاندى الهندوسى البورجوازى . فوضعت ثورة المابليين غاندى فى ورطه" لان العرب فى مالا بار وجدوا الهندوسيين ليسوا من أمتهم ولا يعطفون مع امتهم ، بل يكنون للعروبه" عداء و غلا و يتعاونون مع الانكليز فاصبح النضال العربى صراعا بين الامه" العربيه" الاسلاميه" من جانب و الامه" الهندوسيه" و حماتهم الانكليز من جانب آخر . فاول الامر حاول غاندى ان يرى كفاح المابليين ككفاح قومى ، هو للهنود بقدر ما هو للمسلمين ، و لكن "المعتدلين" فى حزبه استغلوا موقفه هذا ضده فى تقويض قاعدته الشعبيه" عند الجماهير الهندوسيه" التى كانت فى حال غليان ضد العروبه" ، فوجد نفسه يخسر شعبيته و وجد هندوسيى مدراس مثلا ، التى بجوار منطقه" الثورة ، يرفضون ان يلبسوا الطاقيات الغانديه" و هى رمز للقوميه" الهنديه" . فاجبر غاندى على تعديل موقفه الغير واقعى فى حين ان المنظمات

الاسلامية عبأوا — على مستوى الكلام على كل حال — تأييدهم المطلق للشعب المابلى . فلاشك ان ثورة العرب المابليين كان مفترق الطرق بالنسبة الى شعوب الهند ، فأخذ المسلمون طريقا و اخذ غاندى طريقا آخر أفضيا فى آخر الامر الى غايتين متخالفتين و متناقضتين — افضيا الى نشوء دولتين مستقلين من انقاص الهند البريطانية الموحدة — هما الدولة الاسلامية "باكستان" والدولة الهندوسية "الهند" فلا نستغرب فرح التايمز من تطور الحوادث من خيانة القوميين الهنود الجبناء للثورة المابلية ، و استسلامهم امام الوجود الاستعماري : "ان نظرنا فى الهند بصورة عامة نجد دلائل كثيرة على الثبات و الاستقرار . ان الذبح المابلى الوحشى لهنادسة كثيرين قد جعل كل الهند تدرك نوع الفوضى الذى سيجيئ من جراء اختفاء الذراع البريطانى القوى . ان لورد ريدنغ Lord Reading الذى حاول اعتدالا و تمالكا ذاتيا فى تنفيذ مالا بار واجهته اخيرا عريضة تحمل توقيعات كثيرة من منطقة الانتفاضة ، ترجوه ان يشدد تنفيذا تشديدا اكثر . ان السكان الهنود استنجدوا و سألوا ان يرسل مزيدا من الجنود لتضمين عقاب كاف سريع فعال لكل المجرمين " (١٨)

و من الممكن ان فى هذا اليوم ولد باكستان . . . دولة منفصلة لمسلمى الهند الذين وجدوا انفسهم اكثر فاكثر مندفعين الى الدفاع عن عروبتهم العميقة و ايمانهم الراسخ ضد القومية الهندوسية العنصرية التى قادها غاندى و نهرو و التى لم تكن مستعدة لمنح المسلمين فى الهند حق الحفاظة بثقافتهم العربية الخاصة ضمن دولة هندية موحدة . فثار المسلمون على الهنادسة ، و سادتهم الانكليز ، و حققوا استقلال وطنهم ، باكستان .

المراجع

(٧) The London Times 6 September 1921
(٨) نفس المرجع.
(٩) The London Times 21-9-1921
(١٠) The London Times 9-11-1921
(١١) R. C. Mujamdar History of the Freedom Movement in India p. 190
(١٢) The London Times 23-12-1921
(١٣) The London Times 19-9-1921
(١٤) The London Times 24-11-1921
(١٥) The London Times 5-10-1921
(١٦) The London Times 3-10-1921
(١٧) The London Times 29-8-1921
(١٨) The London Times 16-11-1921